المركز الإسلامي الإفريقي بالخرطوم

دراسات إفريقية

مجلة بحوث نصف سنوية

في هذا العدد :

- وسائل الإعلام الحديثة والهوية الثقافية في البلاد العربية
  البروفسير مدثر عبد الرحيم الطيب
- الدعوة الإسلامية في إفريقيا
  البروفسير عون الشريف قاسم
- وسائل انتشار الإسلام في إفريقيا
  الدكتور عبد العزيز بن راشد العبيدي
- من تاريخ الاستعمار الأوربي في إفريقيا
  البروفسير أحمد إبراهيم دياب
- العلاقات العربية الإفريقية
  الأستاذ عبدالرحمن أحمد عثمان
- السياسة البريطانية تجاه الإسلام في منطقة جبال النوبة
  الدكتور محمد الحافظ مصطفى

العدد السادس رجب ١٤١٠هـ فبراير ١٩٩٠م

الدعوة الإسلامية فى إفريقيا

* البروفسير عون الشريف قاسم

الإسلام وإفريقيا :

الصلات بين إفريقيا وجزيرة العرب قديمة قدم التاريخ يشهد على ذلك الأعداد الكبيرة من السود الذين حفل بذكرهم تاريخ العرب وأدبهم،[1] كما تشهد المجموعات العربية السامية التى انتقلت من شبه جزيرة العرب إلى أجزاء مختلفة من إفريقيا خاصة فى شرقها وشمالها ووسطها منذ أقدم العصور، ومن ثم لم يكن مستغربا أن يجد الإسلام فى إفريقيا ملجأه الأول فى العام الخامس من البعثة حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض أصحابه فى هجرتهم الأولى إلى الحبشة. . وكانت السرعة التى انتشر بها الإسلام فى كثير من أجزاء إفريقيا فى سنوات الإسلام الأولى دليلا واضحا عل عمق هذا الأثر المتبادل بين جانبى البحر الأحمر الذى مهد السبيل أمام المسلمين لنشر لواء الإسلام فى أجزاء من القارة قبل أن يصل الإسلام إلى بعض أطراف جزيرة العرب، وهكذا عمَّ الإسلام الجزء الشمالى من القارة بعد سنوات قليلة من الهجرة وبدأ فى الانسراب جنوبا وغربا عبر الصحراء فلم يغير طبيعة الحياة الاجتماعية وحدها، بل غير معها الأوضاع السياسية أيضا فقامت مملكة غانا الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ومملكة السنغال التى أسلم ملكها عام ٤٠٠هـ وشهد القرن الخامس الهجرى ميلاد مدينة العلم والثقافة العربية الإسلامية فى تمبكتو. . ومن هذه المنطقة الإسلامية فى غرب إفريقيا انطلقت حركة المرابطين تحت قيادة المجاهد عبدالله بن يسن من جزيرة صغيرة على نهر السنغال فى أوائل القرن الخامس الهجرى ومن هناك انتشرت فى الشمال الإفريقى إلى أن استولت على الأندلس. . وعرفت هذه المنطقة أيضا مملكة كانم الإسلامية التى استمرت من القرن الخامس الهجرى حتى بداية القرن الماضى، وعرفت الممالك الإسلامية فى مالى وقاو والداهومى وممالك الفلانى والهوسا والبرنو، وشهدت حركات الجهاد بقيادة الشيخ عثمان دان فوديو وعمر الفوطى فى غرب القارة وقامت الممالك والسلطنات الإسلامية فى شرق القارة ووسطها كبنى كنز الدولة، ومملكة النوبة، ومملكة الفونج، وسلطنة الفور فى تقلى، وسلطنة المسبّعات، وسلطنة وداي، ومثل ذلك على الساحل الشرقى والقرن الإفريقى.

وهكذا يمكن القول إنه حين كان قلب العالم الإسلامى يتعرض للغزو الأجنبى

---

* مدير معهد الخرطوم الدولى للغة العربية.

من قبل الصليبيين والتتار ويتمزق من جَرّاء الحروب بين الولاة الطامعين فى السيطرة على مقـدَّرات المسلمين كان الإسلام ينتشر ويزدهر فى إفريقيا وتقام باسمه الممالك والدول فى شرقها وغربها، ويكفى أن نذكر أنه بعد حوالى الثلاثة عشر عاما من سقوط الأندلس الذى حدث عام ١٤٩٢م قامت للإسلام دولة كبرى فى وسط إفريقيا هى دولـة الفـونج فى سنار فى وسط السودان عام ٩١٠هـ/١٥٠٥م وعليها ارتكز كيان السودان الحديث.

ومن الواضح أن الإسلام كدين وحضارة قد صبغ حياة المجموعات الإفريقية التى حل بها بصبغته المميزة التى حفظت على هذه المجموعات تماسكها الاجتماعى خلال قرون الفوضى والحروب التى تعرضت لها مختلف بقاع القارة. ورغم أن بقية العالم الإسلامى كان يتعرض لمختلف أنواع الاضطرابات كما رأينا إلا أن كثيرا من العلماء كانوا يجدون فى ممالك إفريقيا المسلمة تربة صالحة لنشر تعاليم الإسلام بين المسلمين. وهكـذا قامت فى وسط الصحـراء مدينة تمبكتو الإسلامية التى كانت مركز إشعاع للثقافة العربية الإسلامية. وحين ازدهرت دولة الفونج فى أوائل القرن العاشر الهجرى تقاطر عليها العلماء من كافة العالم الإسلامى من الأندلس والمغرب والحجاز ومصر والعراق، وكان يؤم حلقات الأساتذة فيها الطلبة من كافة أنحاء إفريقيا، وقد ذكر الشيخ ولد ضيف الله فى طبقاته عن أولياء السودان وعلمائه أن حلقة الشيخ أرباب الخشن فى القرن الحادى عشر الهجرى كانت تضم أكثر من ألف طالب من دار الفونج إلى دار برنو أو نيجيريا الحالية.[٢] وأكثر من ذلك يقال عن تأثير الأزهر فى مصر ومراكز العلم فى الشـمال الإفـريقى كالقـيروان والـزيتونه، وكان العلماء عنصر توحيد بين المسلمين فقد كانوا يتنقلون فى طول العالم الإسلامى وعرضه ينقلون العلم ويصلون بين المسلمين بأواصر الأخوة والثقافة.

وكان للحج أثره الكبير فى توطيد هذه الأواصر وفى ربط المسلمين بعضهم ببعض وفى تأثرهم بمن ينزلون بهم من إخوانهم وهم فى طريقهم أو رجوعهم من الأراضى المقدسة.. وكل ذلك كان يصل إفريقيا بغيرها من بقية العالم الإسلامى ويجعلها تتأثر بما يجرى فيه من أحداث. ولعل من أبرز مظاهر هذا التواصل ما انعكس على إفريقيا من حركة الإصلاح الدينى التى انتظمت العالم الإسلامى فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر قبيل الهجمة الاستعمارية الأخيرة، فإن العالم الإسلامى، وقد أحس بالخطر الغربى الداهم على وجوده، سعى إلى مجابهة التحدى بحركة إصلاح واسعة غايتها تجديد روح الدين فى حياة المسلمين معايشة لقيمه ونفيا لما علق به من شوائب وخرافات، فقامت دعوة محمد بن عبدالوهاب فى جزيرة العرب، وقامت حركات مماثلة فى الهند وآسيا وفى إفريقيا كالسنوسية فى شمال القارة والمهدية فى السودان والصومال. وكان أثر هذه الحركات الإصلاحية فى غرب إفريقيا أبعد مدى وأشد تأثيرا كما تجلى

ذلك فى حركات الجهاد التى قام بها الحاج عمر الفوطى والشيخ عثمان بن فوديو وغيرهما من قادة الإسلام فى غرب إفريقيا فإنهم لم يقفوا عند تجديد معالم الدين فحسب بل نقلوا دعوة الإسلام إلى أجزاء كثيرة من غرب إفريقيا لم تكن مسلمة من قبل وأقاموا المؤسسات الدينية والمدارس التى تعلم المسلمين أصول دينهم.[٣]

وكانت حركات التجديد الإسلامية هذه على موعد مع الغزوة الاستعمارية الأوربية على معظم أجزاء القارة التى بدأت منذ العقود الأولى من القرن التاسع عشر، ومن ثم فإن رد المسلمين على الهجمة كان مواصلة للجهاد ضد المستعمرين فى الجزائر والشمال الإفريقى ووسط إفريقيا وغربها. وهكذا أطبق الاستعمار الغربى على معظم أقطار إفريقيا كما أطبق على معظم أقطار العالم الإسلامى الأخرى محققا بذلك ما ظل يعمله منذ الحروب الصليبية. وكانت مأساة الأندلس بداية التراجع الإسلامى أمام الضغط الأوربى رغم استبسال الدولة العثمانية فى تأخير النتيجة التى انتهى إليها الصراع بين الإسلام والغرب.

ولم يكن سقوط الأندلس حدثا عابرا فى علاقة الإسلام بالغرب بل كان رمزا لقوة الغرب الصاعدة التى لم يكن أمامها سبيل للتوسع والازدهار إلا على حساب قوة الإسلام المسيطرة على تجارة الشرق والغرب والمتحكمة فى المياه الحيوية فى البحر الأحمر والبحر الأبيض والمحيط الهندى. ومن ثم سعى الغرب إلى كسر نطاق هذا الاحتكار الإسلامى على طريق التجارة ومنافذها، فبدأ فى هذا القرن الخامس عشر الرحلات البحرية لاكتشاف طرق جديدة تتجاوز مناطق النفوذ الإسلامى، فاكتشف كولومبس أمريكا،ودار الأوربيون حول إفريقيا إلى الهند ولكنهم حيثما ذهبوا فى معظم الشواطىء الإفريقية استبان لهم مدى قوة النفوذ الإسلامى فى أجزاء كثيرة من القارة.

وقد أدرك الغرب فى صراعه الطويل مع العالم الإسلامى أن المعركة بين الجانبين فى جوهرها معركة حضارية لابقاء لأحدهما إلا باندحار الآخر. فلم تكن هناك حضارة عالمية حية قوية تواجه الحضارة الغربية الصاعدة سوى حضارة الإسلام التى كانت تسيطر على المجال الحيوى لكل العالم القديم، وليست الحرب هى كل سلاح المعركة كما تبين من المعارك الطويلة بين الجانبين أثناء الحروب الصليبية، بل إن سلاح الثقافة والغزو الفكرى أشد مضاء على المدى الطويل، وهكذا كانت جيوش الدعاة والمبشرين والعلماء والباحثين تسبق جيوش الفاتحين وتمهد لهم السبيل.. وكانت غاية التحرك محاصرة الإسلام فى أوطانه القديمة والحد من قدرته على الحركة فى مواطنه الجديدة سواء أكان ذلك فى إفريقيا،أو آسيا. وحين بدأت المحاولات التبشيرية المسيحية فى إفريقيا فى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى كانت إفريقيا على وجه العموم قارة إسلامية ما عدا جيوبا للمسيحية فى مصر وأثيوبيا، وما سوى ذلك فإمّا إسلام أو وثنية. ومن الواضح أن تصاعد هذا النشاط التبشيرى كان موصولا بتصاعد المد

الاستعمارى وقد بلغ ذلك ذروته فى القرن التاسع عشر حين سقطت كل إفريقيا تقريبا تحت السيطرة الاستعمارية وخضعت حياتها لمخططات المستعمرين.

وكان تركيز التبشير الغربى منذ البداية على المناطق التى لم يمتد إليها النفوذ الإسلامى العربى بوضوح، خاصة فى المناطق الاستوائية حيث الغابات الكثيفة فى وسط القارة وجنوبها وأقصى غربها. ومن الواضح أن انتشار الإسلام فى معظم المناطق الإفريقية التى انتشر فيها كان انتشارا سلميا يقوم على القدوة والمَثَل الطيب الذى يضربه التاجر المسلم أو الداعية أو من إليهم ممن ينزلون بين ظهرانَيْ القوم. وكان لظروف البيئة الطبيعية والمناخ أثرهما فى تحديد مدى تحرك المجموعات العربية التى اجتازت الصحارى وتوغلت فى فساح السافَنّا ولكنها لم تقو فى معظم الأحوال على اقتحام حزام الغابات الاستوائية وإن سعت إلى التأقلم مع البيئة المحيطة بها مثل ما فعلت فى غرب السودان، إذ تحول بعضها من رعاة للإبل إلى رعاة للبقر لتتلاءم مع ظروفها الجديدة. وقريب من هذا حدث للمجموعات التى توغلت فى غرب إفريقيا. ولعل ذلك أقرب تعليلا لضعف انتشار الإسلام فى بعض هذه المناطق مما ذهب إليه الباحث الانجليزى ترمنجهام حين أرجع ذلك إلى غلبة الوثنية المؤلهة لأرواح الظواهر الطبيعية بين سكان هذه الأجزاء من إفريقيا مما يستعصى على الإسلام كعقيدة توحيد اقتحامه.[٤] ولو كان ذلك كل السبب لما وجدنا من بين هؤلاء مسلمين، وذلك أمر ينقضه واقع الحال فى كثير من هذه المناطق التى يكثر المسلمون فى شمالها ويقلون فى جنوبها ولكن هذه القلة قد تصل إلى عدة ملايين فى قطر كنيجريا مثلما هو حال المسلمين من اليوروبا الجنوبيين. وفى بعضها، كالداهومى وغينيا والسنغال وغامبيا، وصل الإسلام حتى الساحل. ومن المفيد أن نلحظ أن اتجاه انتشار الإسلام كان من داخل القارة إلى أطرافها وسواحلها فى غرب إفريقيا بينما كان انتشار المسيحية فى الغالب الأعم من الساحل إلى الداخل فى هذه المنطقة الغربية بالذات. فى حين أن الأمر كان على عكس ذلك فى الساحل الشرقى إذ انتشر الإسلام فى الساحل أولا ثم بدأ فى الانتشار إلى الداخل مثلما هو الحال فى شرق إفريقيا؛ فى تنزانيا وموزمبيق ويوغندا. وقد يتضافر أكثر من تيار فى نشر الإسلام كما هو الحال فى يوغندا إذ نجد مسلمين فى جنوبها وشرقها عن طريق الساحل ومسلمين فى شمالها عن طريق السودان.

وكما ذكرنا آنفا فإن حركات التبشير الغربية قد ركزت على هذه المناطق منذ البداية وحين تمت السيطرة الاستعمارية على القارة منذ القرن التاسع عشر فإن المسرح كان فى جملته معدا لممارسة لعبة الاستعمار الأثيرة فى بذر بذور الخلاف بين أبناء الوطن الواحد باستغلال هذا العنصر الدينى الذى غالبا ما يتمثل فى شمال مسلم وجنوب مسيحى

ووثنى، مثلما هو الحال فى السودان ونيجيريا وتشاد والكمرون والداهومى وسيراليون وغيرها.

السياسات الإستعمارية :

كانت النتيجة الأولى التى ترتبت على سيطرة القوى الاستعمارية على القارة وضع حد لحركة الإصلاح الدينى التى واجهت المستعمرين بالجهاد دفاعا عن الأرض والدين. وقد كان الاستعمار الفرنسى أشد ضراوة من الاستعمار الإنجليزى فى تصديه للقيادات الدينية التى واجهته بالحرب، فإنه سعى إلى التخلص منها منذ البداية وفرض حكما فرنسيا مباشرا غايته تحويل القوم إلى فرنسيين ما وسعت ذلك الإمكانيات فى حين أن الاستعمار الانجليزى كان أشد دهاء فى سعيه لتحقيق أمر قريب من هذه الغاية.[٥] إذ أنه بعد هدوء الأحوال واستقرار الأمور بين يديه سعى إلى الاستفادة من هذه القيادات الدينية فى تثبيت حكمه بعد أن جردها من كل مصادر قوتها بصرف كل تطور المجتمع إلى الوجهة التى يريدها ومن الواضح أن الخلاف بين الاستعمارين خلاف حول الوسائل ولم يكن فى جوهره خلافا حول النتائج.

وكان الاستعمار يدرك ما فى الإسلام من قوة المقاومة. وقد رأى صورا من ذلك فى ميدان القتال قبل أن يستتب له الأمر فى الأراضى التى استولى عليها. ومن ثَمّ فقد كان أول أهدافه الحيلولة بين المسلمين وبين اتخاذ الإسلام سبيلا إلى جهاد أعدائهم. وقد تجلى ذلك أولا فى التخلص من كثير من القيادات الدينية التى اشتركت بالفعل فى مناجزة المستعمرين إما بالقتل أو النفى أو المحاصرة ثم توجهوا إلى إجهاض روح الدين باستراتيجية مبرمجة بدأت فى معظم البلاد التى خضعت للاستعمار بعزل التعليم الإسلامى عن حركة المجتمع الفاعلة وحصره فى جزائر معزولة فى الخلاوى والكتاتيب والمعاهد التقليدية، وإدخال بعض المواد الحديثة فى بعض هذه المؤسسات لتضعف من محتواها القرآنى كخطوة أولى، ثم تنفيذ خطة تعليمية تتجاوز التعليم الإسلامى وتوجه مسار المجتمع على أسس غربية علمانية كخطوة ثانية. وهكذا كان هناك نظامان تعليميان أحدهما إسلامى تقليدى يقوم عليه المسلمون، وآخر مدنى علمانى ترعاه الدولة أو من يقوم مقامها. وكانت السياسة الإنجليزية فتح المجال أمام البعثات التبشيرية لتتولى مهام الدولة فى مجالات التعليم والرعاية الاجتماعية خاصة فى المناطق غير الإسلامية أو قليلة المسلمين. ورغم أن الفرنسيين لم يذهبوا كل الطريق كالإنجليز فى تشجيع المنظمات الكنسية للهيمنة على التعليم إلا أنهم كانوا كدولة لا يقلون عن الهيئات التبشيرية فى حماسهم لثقافاتهم ودينهم، وقد نتج عن ذلك قلة المتعلمين على أسس غربية فى المستعمرات الفرنسية بالمقارنة بما حدث فى المستعمرات

الإنجليزية. والملاحظ أن الغاية من التعليم فى العهد الاستعمارى كانت ذات شقين أحدهما إنتاج الكوادر المساعدة التى تقوم بالأعمال الوسيطة فى الجهاز الحكومى تحت قيادة كبار الموظفين الأجانب، ومن ثم فقد تركز التعليم فى هذه المجالات دون كبير عناية بالتعليم بمعناه الواسع، أما الشق الآخر فهو فصل المتعلمين عن تراثهم القومى، والسعى لصبهم شكليا فى قالب الحضارة الطاغية، وقد اقتضى ذلك التركيز على تعليم اللغات الأوربية وعموميات الثقافة المتصلة بها، بحيث يتخرج المتعلم وهو مسخ مشوه، قد فقد ثقافته التقليدية، ولم يكتسب إلّا قشور الثقافة الوافدة دون روحها أو أصالتها. وقد انعكس ذلك على مستوى المتعلمين عامة الذين أضحوا مجتثى الجذور، لا هم إلى هؤلاء ولا هم إلى أولئك.[٦]

وبالمثل فقد كانت غاية المبشرين الأوربيين فى الأغلب الأعم، كممثلين لقومياتهم، تحويل الأفارقة«ما أمكن ذلك»إلى أوربيين فى الزى والعادات واللسان، ويأتى الدين متمما لعملية التغريب هذه. ولهذا السبب انحصرت المسيحية فى طبقات بعينها خلال عهود الاستعمار فى إفريقيا. ولم يكن عدد المسيحيين الأفارقة يتكافأ مع القوة الفعلية لسيطرة المستعمرين الذين كانوا يرعون حركة التبشير هذه، بل ويضعون تحت تصرفها النظام التعليمى بأسره كما رأينا.

المد الإسلامى :

ورغم الضغوط التى واجه بها المستعمرون الثقافة الإسلامية فى إفريقيا، فإنها ظلت ثقافة الناس القومية، وكانت هى سلاحهم فى مقاومة مخططات المستعمرين، وقد بذلوا فى سبيل نشرها وإحيائها الكثير، بعيدا عن سيطرة الدولة، التى لم تكن تشرف إلا على عدد محدود من مدارسها النظامية المدنية. أما بقية الشعب فقد استمر فى تلقى ثقافته فى مدارسه التقليدية. وكانت نتيجة السياسة الاستعمارية أن ازداد فى واقع الأمر انتشار الإسلام فى كثير من مناطق إفريقيا مع ازدهار التجارة وازدياد شبكات الطرق واستقرار الأمن. وقد بلغت هذه الزيادة فى بعض المناطق حدا أزعج المستعمرين، فسعوا إلى كبح توسعه بشتى السبل. مثل إقامة المناطق المقفولة التى لا يسمح المستعمرون بدخولها إلا بترخيص خاص، وقد أقاموا مثل هذه المناطق فى جهات كثيرة من السودان على سبيل المثال، كمنطقة جبال النوبة بغرب السودان، وكل جنوب السودان، بل إنهم ذهبوا فى ذلك مذهبا بعيدا حين هجّروا كل المجموعات المسلمة من جنوب السودان إلى مناطق أخرى، وأزالوا القرى والمدن التى كانت تتصل فيها المجموعات المسلمة بغيرها من قبائل الجنوب، وحرّموا على أبناء الجنوب لبس الزى العربى، وفرضوا عليهم لبس الزى الأفرنجى، وألغوا كل الأسماء

العربية التى كان يحملها الجنوبيون، وفرضوا عليهم أسماء أوربية، ومن لم يفعل ذلك وسموه برقم حسابى حتى يغير اسمه، وكأنه رقم تسجيل كالدواب أو الآلات، وحرموا استعمال اللغة العربية فى التخاطب الرسمى،[٧] علما بأن اللغة العربية كانت وما تزال لغة التفاهم بين قبائل الجنوب التى تزيد لغاتها على المائة. ولا سبيل إلى التفاهم بينها إلا بالعربية. ولم تستطع الإنجليزية، رغم الجهود المبذولة، الحلول محل العربية، لأنها كما رأينا لغة الخاصة من المتعلمين فى مدارس الإرساليات. وهؤلاء عددهم قليل بالقياس لبقية الشعب، ولذلك فحتى هؤلاء لا غنى لهم عن العربية للتفاهم مع الآخرين من غير قبائلهم. وقد أدرك المستعمرون فشل سياستهم هذه عام ١٩٤٧ فألغوها، وفتحوا المجال أمام اللغة العربية فى الجنوب.[٨]

وما حدث فى السودان حدث مثله فى كل مناطق إفريقيا التى كانت خاضعة للاستعمار، بل إن ما فعله الفرنسيون فى مناطق نفوذهم أشد نكاية مما فعله الإنجليز، وأمامنا المثل الحى فى الجزائر، التى سعى الفرنسيون إلى مسح شخصيتها العربية المسلمة وفرنستها، ولو لا جهاد أهل الجزائر وتضحياتهم الغالية فى مقاومة مخططات المستعمرين لأصبحت الجزائر أثرا بعد عين. ورغم ذلك فإن ما زرعه المستعمرون يحتاج إلى جهد كبير لاقتلاعه فى مجال الثقافة وحياة المجتمع. وإذا كان هذا قد حدث فى بلاد عريقة فى إسلامها كالجزائر، فما بالك ببلاد إفريقية أخرى بعيدة عن مراكز الإشعاع فى قلب العالم الإسلامى، فقد وجد فيها الاستعمار أرضا خصبة لتنفيذ مخططاته، لصب الشخصية الإفريقية فى القالب الأوربى فى كل شىء إلا اللون.

ولقد أدرك المستعمرون أنه لا سبيل الى تحويل المسلمين عن دينهم إلى دين آخر بالوسائل التقليدية، وتبين لهم ضعف حركة التبشير فى مواجهة المد الإسلامى على المستوى الشعبى حتى فى البيئات الوثنية فى إفريقيا. وبالتالى فقد اتجهت مخططاتهم إلى غزو الإسلام من الداخل، بعد قرون من الحصار امتدت كما رأينا من القرن الخامس عشر حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى. وبسقوط معظم العالم الإسلامى تحت سيطرتهم فى القرن التاسع عشر شرعوا فى تنفيذ هذا الغزو الداخلى، دون كبير حاجة إلى مواجهة فعلية مع الإسلام إلا فى أضيق الحدود كما رأينا فى بداية الغزو، إذ تركوا مؤسسات التعليم الإسلامية التقليدية كما كانت، وأقاموا بجانبها مؤسسات تعليمية حديثة كما رأينا، وربطوا بها تقدم المجتمع، وعلقوا بها مصالح الناس. وسرعان ما اكتشف القوم أن التقدم فى الحياة، والحصول على مركز مرموق فى الدولة والمجتمع، رهين بما يحرزه خريج المدرسة المدنية من تفوق فى الهندسة أو الطب أو اللغات وما إلى ذلك من تخصصات تحتاجها دواوين الحكومة. وقد أدى ذلك بالتدرج إلى انصراف الناس عن مؤسساتهم الدينية التى تعلمهم الدين والثقافة العربية الإسلامية. ولا تكاد تتعدى ذلك إلى علوم العصر. ولم يكتف المستعمرون

بتجاوز هذه المؤسسات وإهمالها فحسب، بل حاربوا خريجيها. ووضعوهم - حين اضطرتهم الظروف لذلك - فى وضع يبرز هوان أمرهم، بالقياس لخريجى مدارس الاستعمار.

وقد دفع التحدى الغربى المسلمين إلى محاولة بعث روح الشخصية المسلمة فى كل مجالات الحياة، والسعى لوصل الحاضر بالماضى، ليصبح التقدم تطويرا للحياة فى كل أبعادها القديمة والحديثة. ولكن التغول الاستعمارى وأد كل هذه المحاولات فى مهدها، كما وضح فى تركيا وفى مصر، بحسبانهما طلائع التقدم الإسلامى فى العصور الحديثة.

وهكذا تحول مسار معظم المجتمعات المسلمة الحديثة ليرتبط بمسار التقدم الغربى، ولم يحس المسلمون فى جملتهم بمدى هذا التحول إلا بعد سنوات وسنوات، لأنهم لم يكونوا يعيشون إسلامهم فى شموله وحركته، وقد عانت المجتمعات المسلمة فى إفريقيا من هذا الغزو الحاضر من جوانب كثيرة، أهمها إهمال الثقافة الإسلامية التى تغذى كيان المجتمع، وتعطيل فعالية الإسلام فى حياة الدولة والمجتمع. بحيث لا يحس المسلمون من وجود لإسلامهم إلا فى دور العبادة أو مراكز تدريس الدين، ثم تحويل المتعلمين من المسلمين من منابع ثقافتهم الإسلامية إلى منابع ثقافة الغرب التى تربوا فى معاهدها فيما رأينا. وأكثر من ذلك التمكين فى معظم الدول الإسلامية الإفريقية للأقليات غير المسلمة، التى دربها الاستعمار فى مدارسه، للتحكم فى مصير الأغلبيات المسلمة، التى حكم على جمهرتها بالأمية والتجهيل، إضافة إلى ما زرعه فى نفوس غيرالمسلمين من روح صليبية ضد الإسلام والمسلمين، وضد العرب بالذات.

ومما ساعد الاستعمار فى بلوغ غايته فى هذه المجالات أقامته للسدود والحواجز بين الدول الإسلامية، بحيث سهل على المسلم أن يزور وطن الاستعمار الأم فى ساعات، ويصعب عليه، إن لم يستحل زيارة القطر المسلم إلى جواره، لأن كل شبكات المواصلات مربوطة بأوطان المستعمرين، وهكذا اصطبغت معظم أقطار الإسلام، لا فى إفريقيا وحدها، بل فى معظم العالم الإسلامى، بالصبغة الغربية من ناحية المظهر العام للحياة ولحركة المجتمع الفاعلة، وكان نصيب إفريقيا من ذلك أعظم من غيرها، لشراسة الهجمة الاستعمارية، ولأهمية إفريقيا فى استراتيجية الاستعمار الرامية إلى تعطيل فعالية الإسلام، كمقدمة للسيطرة على مصادر الثروة فى قلب العالم الإسلامى فى منطقة الشرق الأوسط، كمركز الثقل فى العالم، وبوابة المستقبل، ولعله ليس من قبيل الصدف أن تتضافر قوى الاستعمار مع الصهيونية والشيوعية فى هجمتها الضارية ضد الإسلام فى كل مواقعه بحسبانه القوة الفاعلة فى حياة المسلمين.

واقع الإسلام اليوم:

ورغم كل ذلك فقد رأينا أن قوة المقاومة فى نفوس المسلمين قد حالت دون ذوبان الشعوب المسلمة فى إفريقيا فى ركاب المستعمرين، وإن تأثرت بعض طبقاتهم المتعلمة بالثقافة الغربية، والسؤال الذى يطرح نفسه، وقد تخلصت كل هذه الشعوب المسلمة فى إفريقيا من الاستعمار المباشر، ما هو وضع الإسلام فى حياة هذه الشعوب فى أعقاب حركات التحرر والاستقلال؟

وهو سؤال يمكن أن يطرح على مستوى العالم الإسلامى كله فى أعقاب نيل الاستقلال خاصة وأكثر من سبعين فى المائة من كل العرب يعيشون فى إفريقيا، إذ يزيد عددهم فى إفريقيا عن المائة مليون نسمة، وإفريقيا، إضافة إلى ذلك،بحق قارة الإسلام، مثلما كانت فى مشارف الهجمة الاستعمارية، إذ يكاد عدد المسلمين فيها أن يبلغ المائتين والخمسين مليونا من جملة سكانها الذين يزيدون على الأربعمائة والخمسين مليونا، ومعنى ذلك أن ما يزيد على نصف سكانها مسلمون، وأن ما بين ربع وثلث المسلمين فى العالم يعيشون فى إفريقيا.

وما نلحظه فى معظم العالم الإسلامى فى أعقاب حركات الاستقلال، نلحظ مثله فى إفريقيا، فإن المستعمرين حين خرجوا بجيوشهم، تركوا وراءهم نظاما كاملا للحياة، يستمر بعد ذهابهم. ويواصل ما ظلوا يعملون لتأكيده فى حياة الشعوب التى استعمروها، بل إن الأنكى من ذلك أن كثيرا من القيادات الوطنية، التى حلت محل المستعمرين، كانت فى معظم الأحوال ثمرة من ثمرات التعليم الاستعمارى، الذى خلق قيادات ترتكز فى تحركها على اتجاهات الغرب وثقافته، ومعظم هذه القيادات غريب عن تراثه القومى، المرتكز على الإسلام، وقد ساعدت ظروف الاستقلال فى معظم هذه الدول على إضعاف روح المقاومة، التى كانت الجماهير المسلمة ترفض بها ما يأتيها به المستعمر من مخططات. وبزوال الاستعمار المباشر، وتولى المواطنين أمور بلادهم، أخذت كثير من مخططات المستعمرين تجد سبيلها إلى حياة الناس، وتصبح جزءا من كيانهم، وبذلك حقق الاستعمار عن طريق الغزو الثقافى، ما عجز عن تحقيقهُ بقوة السلاح وبالجيوش، حين كان يسيطر سيطرة مباشرة على كثير من الشعوب المستعمرة.

وأهم من كل ذلك أن برامج التنمية المكثفه، التى سعت بها هذه الشعوب إلى تعويض التطور الاقتصادى والاجتماعى الذى فاتها فى عهد الاستعمار، قد ضاعفت من الشقة التى تفصل الثقافة القومية من حركة المجتمع الفاعلة، إذ أن تطور المجتمع فى معظم هذه المجتمعات، قد سلك نفس الطريق التى خطط لها الاستعمار فى مجال التعليم والتطور الاجتماعى عامة، مما ضاعف من غربة الناس الثقافية، الذين زاد

تمزقهم من جراء النمو الاقتصادى الكبير، الذى يلقى بأعبائه الثقيلة على حياة الناس الاجتماعية، فتنفصم عُرى حياتهم الجماعية، التى كانت ترتكز عل قيم الثقافة التقليدية المجهولة لدى الكثيرين منهم، خاصة الأجيال الجديدة، التى لا تجد فى منهج التربية ما يحصن شخصيتها، ولا تجد فى المجتمع، وقد سيطرت عليه قيم حضارة أخرى، ما يدعم كيانها الروحى والإنسانى، فتنجرف وراء قشور حضارة الاستهلاك، التى تهجم على الناس من كل اتجاه، فتزعزع حياتهم، وتنسف كل مرتكزاتهم الثقافية والحضارية. ولعل المجتمعات المسلمة التى يرتكز وجودها الاجتماعى والثقافى على نظام الإسلام الشامل لحياة الفرد وحياة الجماعة، هى من أكثر المجتمعات البشرية عرضة للاهتزاز فى مثل هذه الأوضاع، التى ينفصل فيها الناس عن منابعهم الفكرية والاجتماعية، ثم يتعرضون لمثل هذا الغزو الحضارى الجارف، الذى يهدف إلى إلغاء الشخصية الموروثة، وإبدالها بشخصية مغايرة، تستمد وجودها من حضارة الغرب السائدة. فإن المجتمعات الأخرى، التى لا يلعب الدين بمعناه الشمولى فى حياتها مثلما يلعبه الدين فى مجتمعات المسلمين، لا تتأثر كثيرا بفقدان الدين، لأنها لم تكن منذ البداية معتمدة عليه فى مواضعات حياتها الاجتماعية. ولهذا السبب، فإن تأثير الحياة الغربية على المجتمع المسلم، وهو فى حالة الانفصام والازدواجية التى هو عليها الآن، أشد تدميرا لكيانه من أى مجتمع آخر.

ويزداد التدمير بازدياد وتيرة التقدم الاقتصادى غير المحكوم بقيم الإسلام وضوابطه. ولهذا السبب فإن تدهور المجتمعات المسلمة بعد الاستقلال، وبعد الازدهار الاقتصادى فى كثير منها، أمر يحتاج من مفكرى الإسلام إلى كثير من التأمل والمراجعة، رغم الحديث الكثير عن الصحوة الإسلامية، التى هى فى الواقع مؤشر حقيقى لمدى المفارقة بين تطور المجتمع الفعلى المندفع على أسس علمانية، وبين الضمير المسلم، الذى يسعى إلى ربط هذا التطور بقيم الإسلام ونظمه، وهو يدرك أن ذلك يحتاج لتغيير أساس كل المجتمع، الذى يرتكز فى تعليمه وقانونه واقتصاده وكل تطوره الحيوى على نظام الإسلام فى واقع تحركه.

الإسلام والغزو الفكرى:

ولعل هذا التطور الخطير فى مسار المجتمعات المسلمة فى إفريقيا وفى غيرها من بلاد المسلمين والذى برز بوضوح منذ الخمسينات هو الذى دفع بحركات التبشير الغربية إلى مراجعة قناعاتها السابقة عن استحالة التبشير فى أوساط المسلمين. فقد تبين لهم أن المجتمعات المسلمة وهى على هذه الحالة من التمزق الاجتماعى الناجم عن التفاوت الرهيب بين الطبقات الذى يحدثه التطور الاقتصادى، وانعكاسات كل ذلك

على علاقات الأفراد والجماعات التى انهارت أسسها الفكرية لسيادة أسس فكرية أخرى مغايرة لها. تبين لهم فى ضوء ذلك أن المجتمعات المسلمة أرض خصبة للتبشير وأنه فى ظروف الفاقه والفقر الذى تتعرض له الطبقات المسحوقة وفى غيبة الوعى بمرتكزات الثقافة القومية التى تستند عليها شخصية الفرد وعلاقات الجماعة فمن اليسير استمالة مجموعات كبيرة من المسلمين وتحويلهم عن دينهم بشتى السبل المادية والمعنوية.

ولا بأس هنا من إشارة إلى مؤتمر تنصير المسلمين الذى عقد بأمريكا عام ١٩٧٨ وصدر عنه كتاب (الإنجيل والإسلام) الذى عالج مختلف القضايا المتعلقة باستراتيجية التحرك فى أوساط المسلمين القائم على الدراسة المستقصية للفكر الإسلامى ولواقع المسلمين واستنباط انجح الوسائل للتأثير عليهم، وأشارت مقدمة الكتاب الذى لخصته مجلة (الأمة) التى تصدر فى دولة قطر فى عددها الخامس إلى أن: (الفرص مواتية لتنصير المسلمين فى العالم خاصة وأن المسلمين متفرقون ويعانون من عدة مشاكل. وأن هناك انفتاحا جديدا بين كثير منهم نحونا.)[٩]

وكان أهم نتائج هذا التطور التحول الجذرى الذى اعترى حركات التبشير الغربية فى مرحلة ما بعد الاستقلال وبالذات منذ الستينات فقد اتجهت العناية إلى تقوية العناصر الوطنية فى قيادات الكنائس المحلية وتكوين المنظمات العالمية لدعمها، واتخذ التبشير وجهة غير مباشرة تأخذ فى الاعتبار حاجة الشعوب المستقلة حديثا إلى التنمية وتطوير الخدمات الاجتماعية، وبذلك فتحت المنظمات الكنسية، وما يتصل بها من جمعيات خيرية وتطوعية، مراكزها فى معظم الدول التى استقلت حديثا. واختفت بالتدريج الهيئات التبشيرية فى شكلها القديم وبذلك استطاعت المنظمات التبشيرية مواصلة ما كانت تقوم به فى الماضى فى أشكال جديدة تضمن لها التغلغل فى حياة الناس الثقافية والصحية والتربوية والاجتماعية لتأكيد ما زرعه الاستعمار من منهاج، وللدعوة إلى دينها وثقافتها بطريقة عملية بدل التبشير القديم المباشر.

وقد كان لهذا التخطيط الجديد آثاره الكبيرة فى تنشيط العمل التبشيرى فى كل أنحاء القارة بحيث يصح القول إن حركة انتشار الإسلام الذاتية، التى ظلت تتصاعد فى أيام سطوة الاستعمار، تتراجع الآن بوضوح أمام الاتجاه العلمانى لدى كثير من قيادات بعض الدول الإفريقية المسلمة من ناحية، وأمام هذا التحرك التبشيرى المخطط المدعوم بالمال والمساعدات المادية والفنية من ناحية أخرى. وتلك من المفارقات العجيبة أن تنتشر ديانة الغرب بعد زوال سلطانها السياسى. وأن يتراجع الإسلام ومعظم العالم الإسلامى قد نال استقلاله السياسى. وقد ذكرت مجلة تايم الامريكية فى تحقيق لها عن الوضع الدينى فى إفريقيا فى عددها بتاريخ ١٢ مايو ١٩٨٠ أن عدد المسيحيين فى إفريقيا عام ١٩٦٠ كان حوالى الثلاثين فى المائة، وقد ارتفع عام

١٩٨٠ إلى ما يقرب من الخمسين فى المائة من جملة سكان إفريقيا، وذكرت فى جزء آخر من التحقيق أن نسبة الزيادة السنوية أكثر من ٥٪ أى بإضافة ٦ مليون مسيحى كل عام.[١٠] وتوقعت أنه بنهاية القرن سيكون نصف الثمانمائة مليون إفريقى مسيحيا. وتلك أكبر زيادة تشهدها المسيحية فى كل تاريخها فيما ذكرت المجلة الامريكية، ورغم أن هذه الأرقام خاضعة للنظر إلا أنها تشير، من وجهة نظر الغرب على الأقل، إلى اتجاه الأحداث فى إفريقيا. ولعل من أكبر المفارقات فى هذا الصدد أن يتنصل المسلمون من الدعوة لإسلامهم باسم العلمانية الغربية فى حين يتحمس دعاة العلمانية للدعوة لدينهم بهذه الطريقة التى لم يشهد مثلها التاريخ. وفى هذا ما فيه من عبرة لمن يأخذون الأمور بظواهرها ويتجافون عن جواهرها فينخدعون بالشعارات ولا يلحظون ما تحتها من تضليل وما يكتنفها من أحابيل.

وقد كان للحركة الشيوعية فى إفريقيا دور فى شلّ حركة الوعى الإسلامى لا يقل عن دور الاستعمار ومبشريه. فإن كثيرا من الشباب المسلم الذى اعتنق الماركسية أصبح أداة هدم لدينه وحضارته مما مكن لمخططات الاستعمار الثقافية من الرسوخ فى عقول كثير من المتعلمين، فإن الفكر الغربى فى جملته هو أساس الشيوعية مثلما هو أساس الرأسمالية، وكلاهما وجهان لعملة واحدة فى نهاية المطاف، وبالتقائهما فى محاربة الإسلام يسهمان فى هدم الشخصية المسلمة التى هى الدرع الواقى من تسلط المستعمرين، سواء أكانوا شرقيين أو غربيين، صليبيين أو شيوعيين أو صهيونيين، فكلهم ينزع عن قوس واحدة، وجميعها هدم لمجتمع المسلمين.

ولابد من إشارة إلى الخلافات المذهبية بين المسلمين أنفسهم فقد كان لها أسوأ الأثر فى الحد من انتشار الإسلام، إذ أن المسلمين انصرفوا إلى محاربة بعضهم فانشغلوا بخلافاتهم الداخلية عن واجبهم نحو غيرهم من غير المسلمين. ولعل من المفيد أن نذكر أن الإنجليز وقد رأوا ما يمكن أن يحدثه مثل هذا الخلاف بين المسلمين من أثر شجعوا بحماس كبير انتشار المذهبين الإسماعيلى والأحمدى القاديانى فى شرق إفريقيا وغربها.[١١] ولا نريد أن نذكر مدى الضرر الكبير الذى يحدثه الصراع بين الطوائف الصوفية فى غرب إفريقيا وبين هذه الطوائف ومن يعارضونها ممن يسعون إلى تنقية العقيدة من الشوائب. وقد أدى كل ذلك إلى صراعات رهيبة بين المسلمين أنفسهم وقد استغل ذلك أعداء الإسلام لتعطيل فعالية الإسلام فى أجزاء كثيرة من إفريقيا لابد أن يتنبه له المسلمون فيتداركوه قبل فوات الأوان. فإن الإسلام فى سباق مع الزمن وكل ما لم يصله الإسلام يصله غيره، وكل خلاف وسط المسلمين مهما كانت أهدافه ودوافعه فى هذه الظروف الحرجة لا يخدم إلا أعداء الإسلام.

معركة المستقبل :

إن الحديث عن الدعوة الإسلامية فى إفريقيا هو فى جوهره حديث عن الإسلام فى عمومه وماضيه وحاضره ومستقبله، فإن ما يواجهه الإسلام فى إفريقيا يواجهه الإسلام فى كل مكان. والمعركة فى نهاية المطاف حركة حضارية بين نظام الإسلام كرسالة خاتمة تصل الدين بالدنيا لتحقيق خلافة الله فى الأرض التى خلق الإنسان من أجلها وبين النظم التى تفصل الدين عن الدنيا سواء أكانت فى شكلها الرأسمالى المرتكز على الفرد، أو فى شكلها الشيوعى المرتكز على الجماعة، أو فى ما يتفرع منها من أشكال تلتقى جميعها فى التركيز على قوى الإنسان المادى بمعزل عن قواه الروحية فلا تقود إلا إلى كارثة محققه يقضى الحيوان فينا على الإنسان،فى زمان تتفاقم فيه مشاكل البشر فيزداد عددهم وتتقلص موارد رزقهم ولا خلاص للبشرية إلا بثورة حضارية تعيد إلى الإنسان توازن شخصيته بحيث يقوم الفرد مقام الجماعة فى رعاية الحقوق وحفظ إنسانية الإنسان، وذلك ما جاء الإسلام لتحقيقه فى هذه المرحلة الخاتمة من تطور البشر لعلاج أزمة الإنسان فى مجتمع الصناعة المتطور الذى يمزق علاقات البشر، ولا سبيل إلى تجاوز تناقضات هذه المرحلة إلا بأن ينبع الوازع من الداخل وتدخل قيم الجماعة فى ضمير الفرد، ليصبح الفرد دولة فى فرد ومجتمعا بأسره فى شخص، وذلك هو النموذج الذى يقدمه الإسلام لعلاج مشاكل البشرية فيما يستجد من قرون، وقد ختم الله به الرسالات لأنه العلاج الذى لا علاج سواه لأدواء البشرية فى مجتمعات الصناعة المتطورة.

والمسلمون فى إفريقيا وفى غيرها من أقطار الإسلام مدعوون، وقد تخلصوا من الاستعمار السياسى، إلى أن يحققوا استقلالهم الثقافى والحضارى بعودةٍ شجاعةٍ إلى المرحلة الحاسمة التى داهمتهم فيها جحافل المستعمرين حين التفت المسلمون إلى أنفسهم وكادوا يصلون حاضرهم بماضيهم فى القرن الماضى فحولهم الاستعمار عن مسارهم الطبيعى، وربط تطورهم، بتطوره،ولن يتمكنوا من التطور الفاعل إلا بالارتكاز على إيجابيات شخصيتهم المسلمة الكامنة فى عمق أعماقهم التى حالت ظروف التخلف والاستعمار من تفجير طاقتها الخيرة فى حياتهم المعاشة، وذلك يقتضيهم ثورة فى مناهج التعليم يتصل فيها الناشئة بتراثهم العربى الإسلامى اتصال تفاعل ومعايشة، بحيث يصبح هو القاعدة التى تنبثق منها كل المعارف فى التصاق حميم بروح العصر، فإن نظام التعليم السائد فى معظم بلاد المسلمين يبتر الشاب المسلم عن إسلامه وينفره من دينه وحضارته، فيرى فى نظام المجتمع الغربى النموذج الأصيل للتقدم، ومتى تغير منهج التعليم انعكس ذلك على التشريع والاقتصاد وكل مظاهر الحياة الاجتماعية بحيث يعيش المسلمون إسلامهم بدل هذا الذى نراه فى حياة

المسلمين من فصل سالب لممارسات الدين عن مواصفات الدنيا ومناشطها الفاعلة بما يعبر عن الازدواجية التى استغلها الاستعمار لتحقيق مآربه.

ويقينى أننا فى إفريقيا وفى كل عالمنا الإسلامى، وقد أظلنا القرن الهجرى الخامس عشر بظله، نقف على أعتاب مرحلة جديدة نعيد فيها فهمنا لإسلامنا فى ضوء تجربتنا. كمسلمين، ونتخلص بذلك من تأثير مخططات المستعمرين التى سعت إلى تجريد المسلمين من دينهم بدعوى العلمانية فانتهت بتجريدهم من كل مقومات الحياة الفاعلة، لأن الإسلام فى حياة المسلمين ليس دينا بالمعنى التقليدى فحسب، وإنما هو صياغة اجتماعية وفكرية لشخصية الفرد وتجسيد عضوى لعلاقات الجماعة، فإذا تجرد المسلم من دينه تجرد من كل علاقاته الفكرية والاجتماعية إضافة إلى العنصر الدينى الذى يمنح المحتوى الاجتماعى بعده الأخلاقى والإنسانى. ولرسوخ الإسلام فى حياة المسلمين بهذه الطريقة العضوية الفاعلة ظلت المجموعات المسلمة قوية متماسكة طوال عصور الانهيار والتدهور وقاومت كل التحديات ومن بينها الهجمة الاستعمارية الأخيرة.

إذ الإسلام بالنسبة للمسلمين نظام حياة ومرتكز حضارة، وهو انتماء ووجود وايدولوجية توجه حياة الفرد كما ترسم علاقات الجماعة. وكما اكتشف الأوربيون المعاصرون سر قوة الشخصية الأوربية حين اصطدموا بحضارة الإسلام منذ القرن العاشر الميلادى، فإننا نكتشف سر قوة شخصيتنا المسلمة وقد اصطدمنا بحضارة الغرب الراهنة، وكما لم يَدُبّ الأوربيون فى حضارة الإسلام بعد تأثرهم بها وإنما استعادوا حضارتهم اليونانية الرومانية فإننا نعود بدافع من تحدى الحضارة الغربية التى تأثرنا بها إلى منابع شخصيتنا المسلمة، لنكتشف مصادر القوة فيها، لنثرى بها حياتنا، ونعيد بها حيوية شخصيتنا القومية، لنقف على أرجلنا من جديد، لنواجه التحدى الغربى والشرقى لا فى إفريقيا وحدها بل فى كل العالم.

سبيل الدعوة:

ولابد لنا ونحن نتدارس أمر الدعوة الإسلامية فى إفريقيا من ملاحظة الاعتبارات الآتية:ـــ

أولا : المحاولات الدائبة لفصل المسلمين عن إسلامهم بإهمال التعليم الدينى وحصره فى نطاق ضيق لا يتعدى بعض المؤسسات الدينية كالمساجد ومراكز دراسة القرآن التقليدية كالخلاوى وكتاتيب القرآن، وإبعاد الثقافة الدينية ما أمكن من مناهج التعليم النظامى الحديث الذى يركز على ثقافة الغرب ولغاته، وربط هذا التفريق بين نظامى التعليم بغرض

الاستخدام والترقى فى دواوين الحكومة وغيرها من المجالات مما يجعل من يهتمون بدراسات الدين بمعزل عن الدراسات التى تؤهل للخدمة العامة فى وضع أدنى من سواهم من خريجى المدارس المدنية. وذلك يتطلب دراسة شاملة للوضع التربوى للمسلمين فى إفريقيا بما فى ذلك البلاد التى أكثريتها من المسلمين فإن وضع المسلمين فيها لا يبعد كثيرا عن وضعهم فى بلاد الأقليات المسلمة لغلبة الاتجاه الغربى العلمانى فى كلتا الحالتين.

ثانيا : يتصل بهذا فصل المسلمين عن اللغة العربية لغة القرآن بتجهيلهم أولا بالحروف العربية بعد أن أصبحت معظم اللغات الإسلامية فى إفريقيا تكتب بالحروف اللاتينية بعد أن كانت تكتب بالعربية، ولعل أهم تحول فى هذا الاتجاه برز فى كتابة لغة الهوسا فى غرب إفريقيا باللاتينية ومثلها السواحلية والصومالية فى شرق إفريقيا، والنتيجة الحتمية لذلك أن ينفصل شباب المسلمين عن تراثهم الإسلامى المكتوب باللغة العربية بما فى ذلك القرآن والسنة مثلما حدث فى تركيا. ولابد من بذل مجهود كبير فى هذا الاتجاه لاستعادة مكانة الحرف العربى فى كتابة اللغات الإسلامية فى إفريقيا.

ثالثا : بث الخلافات الفكرية والعقائدية فى أوساط المسلمين وقد رأينا تشجيع الإنجليز للإسماعيلية فى شرق إفريقيا وللقاديانية فى غربها لإحداث النزاع بين المسلمين فينصرفوا عن الدعوة للإسلام فى أوساط غير المسلمين بالصراع فيما بينهم. وقد برز الصراع فى الأعوام الأخيرة بين المتصوفة ومعارضيهم خاصة فى غرب إفريقيا مما شل حركة التوسع الإسلامى، وفتح المجال أمام غير المسلمين ليتوسعوا فى استيعاب الوثنيين وغيرهم من قبائل غرب إفريقيا.

رابعا : يجب التركيز على الأفارقة أنفسهم فى بث الدعوة فى مجتمعاتهم وفى غيرها من المجتمعات الإفريقية لمعرفتهم بعادات ولغات أهليهم وألفتهم لهم.

خامسا : ضرورة التركيز على الخدمات التربوية والاجتماعية والثقافية والصحية عن طريق المساجد المتعددة الأغراض التى تصل العبادة بمصلحة الناس فيرتبط العامل الدينى بالعامل الدنيوى.

سادسا : لابد من رسم استراتيجية شاملة لمواجهة التحديات التى تواجه المسلمين فى إفريقيا ولن يتيسر ذلك إلا بتوحيد الجهود عن طريق عمل جماعى

مشترك فى شكل مركز أو معهد أو مجلس للتوثيق والتنسيق ورسم الاستراتيجية لكل العمل الإسلامى فى إفريقيا دون أن يحول ذلك بين مختلف المؤسسات والمنظمات والدول وبين مواصلة عملها الإسلامى . .

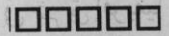

المراجع والهوامش

(١) ود ضيف الله؛ كتاب الطبقات، تحقيق يوسف فضل حسن دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر.

(٢) ود ضيف الله؛ مرجع سابق.

(3) El Nagar,: West Africa and the Muslim Pilgrimage: An Historical Study with special reference to the nineteenth Century, ph. D thesis, London, 1969.

(٤) سبنسر ترمنقهام؛ الإسلام فى شرق إفريقيا، ترجمة عاطفة النواوى، الطبعة الأولى؛ مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة). ١٩٧٣ ص ١٣٢ وما يليها.

(5) Andrson; Islamic Law in Africa Foreword by Lord Hailey, London F. Howard Doulton and Co Ld, 1954.

(٦) بروفسيرمدثر عبدالرحيم (الدعوة الإسلامية والمجتمعات المسلمة (مجلة الفكر والثقافة الإسلامية الخرطوم (١٩٨٢).

(٧) بروفسير محمد عمر بشير؛ مشكلة جنوب السودان ـ خلفية النزاع ومن الحرب الداخلية إلى السلام، دار الجيل ببيروت (١٩٨٣).

(8) Lewis, I. M ed. Islam in Tropical Africa. London, Oxford University Press, 1966.

(٩) حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام فى القارة الإفريقية، ط ٢ : القاهرة مكتبة النهضة المصرية؛ مطبعة السنة المحمدية ١٩٦٣م.

(١٠) عبده بدوى: مع حركة الإسلام فى إفريقيا: القاهرة المطبعة الثقافية ١٩٧٠م.

(١١) يوسف فضل حسن؛انتشار الإسلام فى إفريقيا، الخرطوم مطبعة جامعة الخرطوم ١٩٧٩م.

(١٢) على أبوبكر: الثقافة العربية فى نيجيريا من (١٧٥٠ــ١٩٦٠) بيروت، مؤسسة الباسط للطباعة ١٩٧٢م.

(١٣) إبراهيم على طرخان: دولة مالى الإسلامية. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨م.

(14) Journal of Institute of Muslim Minorty Affairs Issued by King Abd/Asis / Jeddah, Volume 4 1982.

(15) Murdock, George P., Africa: Its People and their Cultural History; New york, Mc Graw – Hill 1959.

(16) Baulin, Jaques: The Arab Role In Africa. London, Cov and Tyman Ltd 1962.

(١) وهي الجماعة التي تسمي نفسها الجماعة الإسلامية وتتخذ من القبعات البيضاء شعارا لها.

(٢) راجع مقالة وجيه البارودي.

(3) El Nagar, : West Africa and the Muslim Pilgrimage: An Historical Study with special reference to the nineteenth Century, ph. D thesis, London, 1959.

(٤) راجع في هذا الموضوع مقالة فجر الإسلام في غرب إفريقيا للدكتور أحمد شلبي في الجزء الأول من كتابه موسوعة التاريخ الإسلامي (القاهرة ١٩٦٦) ص ٢٦١ إلى ٢٧٩.

(5) Anderson; Islamic Law in Africa Foreword by Lord Hailey, London F. Howard Doulton and Co Ld, 1954.

(٦) مجلة الشرطة (مجلة المجلس الأعلى لشئون الهيئات الشرطية) العدد الثالث (١٩٨٢).

(٧) راجع في هذا الموضوع كتاب الدكتور أحمد شلبي بعنوان مقارنة الأديان ـ الجزء الثالث ـ اليهودية (القاهرة ١٩٨٢).

(8) Lewis, I. M ed. Islam in Tropical Africa. London, Oxford University Press, 1966.

(٩) مجلة الشرطة : العدد ٢٠٤، السنة الثانية والأربعون، يناير ١٩٨٢ ص ٦٢ وما بعدها.

(١٠) راجع في هذا الموضوع مقالة : الإسلام في غرب إفريقيا للدكتور أحمد شلبي ص ٢٧٥ وما بعدها.

(١١) راجع في هذا الموضوع : تاريخ الدعوة للسير توماس أرنولد (١٨٦٤ ـ ١٩٣٠) ترجمة حسن إبراهيم وآخرين ص ٢٧٥ وما بعدها.

(12) Journal of Institute of Muslim Minority Affairs Issued by King Abd\Asis\ Jeddah, Volume 4 1982.

(13) Murdock, George P., Africa: Its People and their Cultural History; New york, Mc Graw – Hill 1959.

(14) Baulin, Jacques: The Arab Role in Africa. London, Cov and Tyman Ltd 1962.